﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النّمل: 77]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اسْتيعابُ جِهاتِ هَـدْيِ الـقُـرْآنِ الكَريمِ

لمّا ذكر الله تعالى أنَّ القرآن يقصُّ أحسنَ القصصِ وأصدقَها، فبانَ بهذا دليلُ عِلْمِه؛ أتبعه بدليل فضله وحلمه[1]، وبيانِ وجه هداية القرآنِ ورحمته؛ استيعابًا لجهات هدي القرآن الكريم[2]، وهي محض تنزُّل كريم من عطاء الله العظيم، فآثرَ اللّهُ تعالى به عبادَهُ المؤمنين، فكان لهم هدايةً لكلِّ خير، ورحمةً واسعةً منه تَعالى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَهُدًى﴾: (هدي) أصلان أحدهما: التَّقدُّم للإرشاد، والآخر بَعْثةٌ لطفٍ[3]. والهدى: هو بيان الوجهة والدِّلالةِ إلى السَّبيل، وهو ضدُّ الضَّلال، والهداية: نورٌ في الظُّلمات، وتمييز عند الاشتباه، وأخْذٌ إلى السَّلامة[4]، وتَردُ الهدايةُ في نصوص القرآن الكريم بمعنى الدِّلالة والإرشاد[5]، كالذي في قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشّورى: 52]، وتردُ مرادًا بها الإلهامُ والتوفيقُ، كالوارد في قول الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56].

ومعنى ﴿لَهُدًى﴾ في الآية: أنَّه يرشد إلى ما فيهِ خيرُ الدُّنيا والآخرة وصلاحُهما، فهو هدًى من الضَّلالة، ورحمة من العذاب لمن آمن به[6].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 213.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 31.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هدي).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هدى).
(5) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10846.
(6) أبو بكر الحدّاد، تفسير الحدّاد: 5/ 39.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فضلُ اللهِ العظيم بإنزال كتابه الكريم

إنَّ هذا القرآن الذي أنزله اللهُ سُبْحانَهُ هدايةٌ من الانحرافِ والضَّلال، ورحمةٌ من العذابِ، وإنَّما ينتفعُ بهذه الآثارِ الحميدةِ مَن صدَّقَ به واهتدى بهُداهُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ وصْلِ الجُمْلَةِ بِما قَبْلَها:

استيعابُ جِهاتِ الخَيْريَّةِ في القُرْآنِ الكَريمِ

وُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما قبلهُ؛ لِما بينَ الجُملتين مِنَ التَّوسُّط بين الكمالين؛ إذ إنَّ هذه الآيةَ خبريَّةٌ، وما عُطفت عليها - وهي قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: 76] - خبريَّةٌ أيضًا، وبينهما مناسبة في اللَّفظ والمعنى، أمّا المناسبة اللَّفظيَّة؛ فإنَّ كلتا الجُملتين اسميَّة، وقد اشتركتا في المُسند إليه، وهو ﴿هَٰذَا﴾ [النمل: 76] في الآية الأولى والضَّمير المُتَّصل في (إنَّهُ) في الآية الثّانية، وكلاهما يَرْجِعُ إلى القرآن الكريم، وأمّا المُناسبة المعنويَّة؛ فهي أنَّ كِلْتا الآيتين في بيان أوصافِ القرآنِ الكريم، فهو يَفْصِلُ بينَ المُخْتَلفين بالحقِّ، ويهدي للَّتي هي أقوم، ويورِثُ رحمةً لِمَن اهتدى بهُداه، وآمنَ به، فكان حاصلُ الآيتين في استيعابِ جوانبِ الخيريَّة في هذا الكتابِ الكريم[2].

دلالةُ التَّأكيدِ بـ (إنَّ) واللّامِ:

الرَّدُّ عَلى مَن يُنْكِرُ هِدايَةَ القُرْآنِ الكَريمِ أَوْ يَرْتابُ في شَأنِها

جاء قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ مؤكَّدًا بـ (إنَّ) واللّام، وذلك لدفع رَيْبِ مَن ارتابَ في هداية القرآن الكريم وكونِهِ وحيًا ورحمةً، وإزالةً للإنكارِ الذي في نفوسهم، فكان التَّأكيدُ ملائمًا لدرجة الارتياب والاعتراضِ الحاصل عِنْدَهُمْ[3]، وفي الآية إثبات أنَّ القرآن

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 384.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 31.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 31.

الكريم هو الهدى نفسُهُ، أو أنَّه مصدرُ الهدايةِ، أي: الهدى الموصل إلى سعادة الدُّنيا والآخرة، وذلك برضوان اللّه تعالى وجنَّة الخلد[1].

دِلالَةُ تَنْكيرِ لَفْظِ ﴿لَهُدًى﴾:

بَيانُ عَظَمَةِ هِدايَةِ القُرْآنِ الكَريمِ

جاء وصف القرآن بالهداية في قول اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بلفظٍ منكَّرٍ، وهذا التَّنكير دالٌّ على التَّعظيم؛ إذ الهدى الذي يحصله مَن يتَّخذ القرآن دليلًا هدًى عظيمٌ لا يُقدَّر قَدْرُه، وقد ثبت باستقراء النُّصوص أنَّ هداية القرآنِ الكريم هي الشَّريعة الَّتي اشتملت أحكامُها على مصالح النّاس، وكانت هُدًى ورَحْمَةً لِلمُؤْمِنينَ.

دِلالَةُ تَنْكيرِ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وتَقْييدِها بِالمُؤْمِنينَ:

اخْتِصاصُ أَهْلِ الإيمانِ بِتَمامِ الرَّحْمَةِ وعُمومِها

جاء الوصفُ الآخرُ للقرآنِ الكريم بكونه رحمةً في قول اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، لفظًا منكَّرًا كذلكَ، وهو دالٌّ على التَّعظيم والتَّفخيم.

وفي تقييد رحمةِ القرآنِ بأهل الإيمان وإن كانت رحمتُه عامَّةً للعالمين جميعًا؛ فلأنَّ أهل الإيمان هم الذين ظفروا بالرَّحمةِ كُلِّها والخير أَجْمَعَ، فقد نالوا الفوزَ في الدُّنيا بصلاح نفوسهم واستقامة أعمالهم واجتماع كلمتهم، وفي الآخرة بالفوز بالجنَّة[2].

دِلالَةُ الجَمْعِ بَيْنَ ﴿لَهُدًى﴾ و﴿وَرَحْمَةٌ﴾:

بِهِدايَةِ القُرْآنِ الكَريمِ تُنالُ الرَّحَماتُ

جمعَتِ الآيةُ الكريمة بين وصفينِ للقرآن الكريم، وهما: الهُدى والرَّحمة، وذلك في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي هذا الجمعِ قَرْنٌ بين الانتفاع المعرفيِّ والوجدانيِّ - وهما: الوعي والإيمان - وذلك في وصفِ الهداية، وبين الانتفاع العمليِّ السُّلوكيِّ، وهو المتعلِّق بالأعمال الصّالحة وصلاح الحياة[3]، ولمّا جمعت الآيةُ

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّريّ الجامع: 20/ 22.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 31.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 210.

بين الوصفين؛ أظهرت المنتفِع بذلك على وجهِ التَّمام والكمالِ، فالهداية - بمعنى البيان - حاصلةٌ للمؤمن والكافر، فإن انتفع بها العبدُ، وصارَ مؤمنًا؛ ظهرت آثارُ ذلك في حياتهِ رحماتٍ تترى[1].

دلالات التعريف بـ(أل) والجمع واسم الفاعل في ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

حُصولُ الرَّحْمَةِ لِعُمومِ أَهْلِ الإيمانِ بِحَسَبِ دَرَجاتِهِمْ فيهِ

ورد لفظ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قول اللهِ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ معرَّفًا بـ(أل)، وهي دالَّة على الجنس، فتعمُّ كلَّ مؤمنٍ[2]، كما جاء اللَّفظ بصيغة الجمعِ؛ للإيماءِ إلى هذا الاستغراق والعموم[3]، فيُقصَد به مؤمنو بني إسرائيل؛ لأنَّ السّياق يتناولهم ابتداءً، كما يعمُّ كلَّ مؤمن بالقرآن الكريم، واتَّبع النَّبيَّ ﷺ[4].

وفي صياغة الوصفِ بصيغة اسم الفاعلِ دلالةٌ على رُسوخ هذا الوصف فيهم[5]، وهذا يقتضي أنَّ وصفَ الإيمان كُلَّما زادَ، وثبتَ؛ زاد الاهتداءُ، وزادت الرَّحمةُ بحسبِ ذلكَ.

دلالةُ لفظِ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بينَ الحقيقةِ والمَجازِ:

بَيانُ العاقِبَةِ الحَميدَةِ لِمُتَّبِعِ القُرْآنِ الكَريمِ

لفظُ المؤمنين في قولِ الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ إمّا أن يُرادَ به المؤمنونَ حقيقةً، وذلك باعتبار ترقّيهم في مراتبِ الإيمانِ مِن مقامٍ إلى مقام أَعْلى مِنْهُ.

أو يجوز أن يكونَ المرادُ بالمؤمنين: الصائرين إلى الإيمان[6]، على طريقة المجاز المُرْسَل، والعلاقة فيه: اعتبارُ ما يكونُ، وفي التَّعبير به إيماء إلى العاقبَةِ الحسَنَةِ لاتِّباع القرآنِ الكريم، وأنَّه يُصَيِّر مُتَّبِعَهُ إلى أعلى مراتبِ الإيمانِ وأَكْمَلِها.

(1) الشعراوي، تفسير الشّعراوي: 17/ 10846.
(2) المراغيّ، تفسير المراغي: 20/ 18.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 445.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 173.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 213.
(6) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 261.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»